سلسلة

تدبر
القرآن الكريم

سورة البينة

جمع وترتيب

عبد الله عوض محمد الحسن

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله حجة، وأوضح به للمؤمنين المحجَّة، وأظهر لهم بآياته نوراً، وكانوا من ظُلم الباطل في لجَّة، أحمده حمد من اتبع نهجه، واتبع طريقة وهديه، وأصلي وأسلم على نبيه، المبعوث بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، وعلى آله وصحبه الذين شادوا الدين ورفعوا لواءه في العالمين. وبعد:

فإن من أنفع ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه، وفي رمسه ومثواه، الاشتغال بكلام الله، تلاوة وتجويداً، وحفظاً وتفسيراً وعملاً وتدبُّراً: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الزمر: ٢٧، ٢٨] .

وقال عز من قائل: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) [محمد: ٢٤] وقال عز شأنه: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: ١٧] وقال عبد الله بن مسعود: من أراد العلم فليثوّر القرآن .

وفي رواية أخرى أثيروا القرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين،وتثوير القرآن: مناقشته ومدارسته والبحث فيه.

في هذه الصفحات نتدارس سورة البينة وذلك بالتعريف بها وبيان الغريب وتفسيرها إجمالاً واستخراج لطائفها ووحدة موضوعيتها وفوائدها، سائلا المولى جل وعلا القبول والتوفيق لما يحب ويرضى.

التعريف بالسورة

◇ أسماؤها وسبب تسميتها [١]

ترقيم	اسمها	نوعها	سبب تسميتها
١	سورة البينة	توقيفية	سميت بذلك لورود هذا اللفظ في مفتتحها.
٢	سورة لم يكن الذين كفروا	توقيفية	سميت بذلك لافتتاح السورة بهذه الجملة.
٣	سورة لم يكن	توقيفية	سميت بذلك لافتتاح السورة بهذه الجملة.
٤	سورة القيمة	اجتهادية	سميت بذلك لورود لفظة (**القيمة**) فيها.
٥	سورة البرية	اجتهادية	سميت بذلك لورود لفظ (**البرية**) فيها مرتين.
٦	سورة المنفكين	اجتهادية	سميت بذلك لقوله تعالى: (**وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ**).
٧	سورة أهل الكتاب	اجتهادية	سميت بذلك لأنها تحدثت عن أهل الكتاب.

◇ معنى إسمها

البينة :البين من الكلام (الواضح)، والمراد بالبينة: النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به. [٢]

◇ تعدادها

عدت المائة وإحدى عشر (١١١) في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الطلاق وقبل سورة الحشر.

وعدت الثامنة والتسعون (٩٨) في ترتيب سور القرآن. [٣]

◇ عدُّها

- كلمها :أربع وتسعون كلمة.
- حروفها :ثلاث مئة وستة وتسعون حرفا.

وهي تسع آيات في البصري والشامي بخلاف عنه وثمان في عدد الباقين.

- اختلافها :آية ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ عدها البصري والشامي على خلاف عنه في ذلك ولم يعدها الباقون. [٤]

---

(١) أسماء سور القرآن الكريم لفايز السريح ص٣٣

(٢) البطاقات لياسر راضي

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، بتصرف. ٤٦٧/٣٠

(٤) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص٢٨٢

◇ فضلها

قال ابن كثير رحمه الله : حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني، حدثني فضيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول" :**إن الله ليسمع قراءة " لم يكن الذين كفروا " فيقول :أبشر عبدي، فوعزتي لأمكننه لك في الجنة حتى ترضى**"(١)

◇ نزولها

ذكر ابنُ عطية الاختلاف في مكّيّة السورة ومدنيتها، وبيّن أنّ القول بمكيتها أشهر، وذكر عند تفسيره لقوله تعالى :﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة..﴾ مستندًا إلى النظائر، وأحوال النزول أنّ القول بمدنيتها يقوّيه؛ كون الصلاة مع الزكاة في هذه الآية مع ذكر بني إسرائيل فيها؛ لأنّ الزكاة فُرِضتْ بالمدينة، ولأنّ النبي ﷺ إنما دفع لمناقضة أهل الكتاب بالمدينة.(٢)

◇ الأحاديث المتعلقة بالسورة وآياتها

● عن أنس قال» :**قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب :(إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال :وسماني لك قال :نعم،** فبكى) وفي لفظ: (لما نزلت ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ دعا أبي بن كعب فقرأها عليه فقال :**أمرت أن أقرأ عليك**)(٣)

● عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** فقرأ فيها ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيته لسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فأعطيته لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره)(٤)

◇مناسبة السورة بما قبلها

كانت سورة **القدر** التي سبقت هذه السورة تنويها بالليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم، فنالت بشرف نزوله فيها هذا القدر العظيم الذي ارتفعت به على الليالى جميعا ..فالتنويه بليلة القدر هو –فى الواقع –تنويه بالقرآن الكريم، وأن الاتصال به يكسب الشرف ويعلى القدر للأزمان والأمكنة والأشخاص .

وسورة **البينة** تتحدث عن هذا القرآن، وعن رسول الله الحامل لهذا القرآن، وموقف الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، من القرآن، والرسول الداعي إلى الله بالقرآن ..ومن هنا كان الجمع بين السورتين قائما على هذا الترابط القوي، الذي يجعل منهما وحدة واحدة .(٥)

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٦/٨

(٢) موسوعة التفسير بالمأثور ٧٢٤٩

(٣) رواه البخاري ومسلم

(٤) رواه الترمذي وأحمد والحاكم

(٥) التفسير القرآني للقرآن للخطيب ١٦٣٨/١٦

◇ مناسبة بداية السورة بآخرها

أول السورة :بيان أن الناس كانوا بحاجة إلى البينة ليخرجوا من الضلال.

وآخر السورة :نتيجة مجيء هذه البينة، وهي انقسام الناس إلى مؤمن وكافر مع بيان الجزاء.

◇مقصد السورة

إقامة الحجة على الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بإتيانهم البينة بإرسال النبي ﷺ وما أنزل عليه من القرآن. [1]

*****

(١) مقاصد سور القرآن الكريم للعبيد ص٦٣٤

بيان غريب الألفاظ

﴿منفكين﴾ تاركين كفرهم.

﴿البينة﴾ العلامة التي وعدوا بها في الكتب السابقة.

﴿رسول من الله﴾ أي :والبينة رسول من الله.

﴿يتلو﴾ يقرأ.

﴿مطهرة﴾ منزهة من الباطل، محفوظة من الشياطين.

﴿كتب قيمة﴾ أخبار صادقة، وأوامر عادلة.

﴿تفرق﴾ اختلف.

﴿أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى.

﴿البينة﴾ من بعد ما تبينوا أنه نبي حقا، تفرقوا، وكانوا مجتمعين على صحة نبوته قبل ذلك.

﴿مخلصين﴾ قاصدين وجه الله وحده.

﴿حنفاء﴾ مائلين عن الشرك إلى الإيمان.

﴿القيمة﴾ الاستقامة.

﴿البرية﴾ الخليقة.

﴿عدن﴾ إقامة، واستقرار. (١)

*****

(١) السراج في غريب القرآن الكريم

التفسير الإجمالي للسورة

قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهم اليهود والنصارى والمشركون هم عباد الأصنام لم يكونوا منفصلين عما هم عليه من الديانه تاركين لها إلى غاية مجيء البيّنة لهم فلما جاءتهم البينة .وهي محمد ﷺ وكتابه انفكوا أي انقسموا فمنهم من آمن بمحمد ﷺ وكتابه والدين الإسلامي ومنهم من كفر فلم يؤمن .

وقوله تعالى ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو محمد ﷺ

وقوله ﴿يَتْلُواْ صُحُفاً﴾ أي يقرأ على ظهر قلب ما تضمنته تلك الصحف المطهرة من الباطل والمشتملة على كتب من عند الله قيمة أي مستقيمة لا انحراف فيها عن الحق ولا بعد عن الهدى والمراد من الصحف المطهرة القرآن الكريم .

وقوله تعالى ﴿وما تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ ما جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وهي محمد ﷺ وكتابه إذ كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبيّ آخر الزمان وأنه النبي الخاتم للنبوات فلما جاءهم تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض في حين أنهم ما أمروا في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم .

وكذا في القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة بأن يؤدوها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها ويؤتوا الزكاة التي أوجب الله في الأموال لصالح الفقراء والمساكين﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي وهذا هو دين الملة القيمة المستقيمة الموصلة للعبد إلى رضا الرب وجنات الخلد بعد إنجائه من العذاب والغضب. (١)

*****

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٥/٦٠٠

لطائف السورة

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾

● ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ استصعب في كلام المفسرين تحصيل المعنى المستفاد من هذه الآيات الأربع من أول هذه السورة تحصيلا ينتزع من لفظها ونظمها، فذكر الفخر عن الواحدي في التفسير البسيط له أنه قال :هذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء. (١)

● قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ **مراجع تأويل الآية تئول إلى خمسة.**

الأول :تأويل الجملة بأسرها بأن يئول الخبر إلى معنى التوبيخ والتعجيب، وإلى هذا ذهب الفراء ونفطويه والزمخشري.

الثاني :تأويل معنى ﴿مُنفَكِّينَ ﴾ بمعنى الخروج عن إمهال الله إياهم ومصيرهم إلى مؤاخذتهم؛ وهو لابن عطية.

الثالث :تأويل متعلق ﴿مُنفَكِّينَ ﴾ بأنه عن الكفر وهو لعبد الجبار، أو عن الاتفاق على الكفر وهو للفخر وأبي حيان .أو منفكين عن الشهادة للرسول ﷺ بالصدق قبل بعثته وهو لابن كيسان عبد الرحمن الملقب بالأصم، أو منفكين عن الحياة، أي :هالكين، وعزي إلى بعض اللغويين.

الرابع :تأويل ﴿حَتَّىٰ ﴾ أنها بمعنى إن الاتصالية .والتقدير :وإن جاءتهم البينة.

الخامس :تأويل ﴿رَسُولٌ ﴾ بأنه رسول من الملائكة يتلو عليهم صحفا من عند الله فهو في معنى قوله تعالى﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ النساء :١٥٣ وعزاه الفخر إلى أبي مسلم وهو يقتضي صرف الخبر إلى التهكم.

هذا والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أنهم كفروا برسالة محمد ﷺ مثلما في قوله تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الحشر :١١. (٢)

● قال علماء البلاغة :إن المعرف بهذه اللام هو في المعنى نكرة؛ فكأنه قيل حتى تأتيهم بينة. (٣)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٦٨/٣٠

(٢) المرجع السابق ٤٦٩/٣٠

(٣) المرجع السابق ٤٧٤/٣٠

●قدم أهل الكتاب على المشركين هنا مع أن كفر المشركين أشد من كفر أهل الكتاب؛ لأن لأهل الكتاب السبق في هذا المقام فهم الذين بثوا بين المشركين شبهة انطباق البينة الموصوفة بينهم، فأيدوا المشركين في إنكار نبوة محمد ﷺ بما هو أتقن من ترهات المشركين، إذ كان المشركون أميين لا يعلمون شيئا من أحوال الرسل والشرائع؛ فلما صدمتهم الدعوة المحمدية فزعوا إلى اليهود ليتلقوا منهم ما يردون به تلك الدعوة وخاصة بعدما هاجر النبيء ﷺ إلى المدينة. (١)

●قرأ ابن مسعود:(لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين) وهذه قراءة على التفسير .قال ابن العربي: وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة. (٢)

●قال ابن عباس أهل الكتاب :اليهود الذين كانوا بيثرب، وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع .والمشركون :الذين كانوا بمكة وحولها، والمدينة والذين حولها، وهم مشركو قريش. (٣)

● قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ هذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة. (٤)

●فسر قوله :﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأهل الكتاب وبالمشركين، فهذا يقتضي كون الكل واحدا في الكفر، فمن ذلك قال العلماء :الكفر كله ملة واحدة، فالمشرك يرث اليهودي وبالعكس. (٥)

●الذمي ليس بمشرك، وقال عليه السلام (غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم) فأثبت التفرقة بين الكتابي والمشرك. (٦)

●احتمال أن يراد بالمشركين أهل الكتاب وشركهم لقولهم المسيح ابن الله وعزير ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والعطف لمغايرة العنوان ليس بشيء. (٧)

●نبه بذكر أهل الكتاب أنه لا يجوز الاغترار بأهل العلم إذ قد حدث في أهل القرآن مثل ما حدث في الأمم الماضية. (٨)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٧٥/٣٠
(٢) تفسير القرطبي ١٤٠/٢٠
(٣) المرجع السابق
(٤) تفسير البغوي ٤٩٣/٨
(٥) تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢
(٦) المرجع السابق
(٧) تفسير الآلوسي ٤٢٥/١٥
(٨) تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢

●لا ريب أن الله فرق بين المشركين وأهل الكتاب في عدة مواضع، ووصف من أشرك منهم في بعض المواضع، بل قد ميز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع وكلا الأمرين حق، فالأول كقوله تعالى :﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وقوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الحج :١٧

وقال تعالى :﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾المائدة :٨٢

وأما وصفهم بالشرك ففي قوله :﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة ٣١

فنزه نفسه عن شركهم، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك، فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد والنهي عن الشرك كما قال تعالى : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزخرف، وقال تعالى :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل :٣٦

وقال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء :٢٥. (١)

●سمي أهل الكتاب كفاراً مع إيمانهم بكتابهم ونبيهم لأنهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد فكفروا بذلك، فإنه قيل إن اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث، وهذا يقتضي كفر جميع أهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والظاهر خلافه، ولذا قال الماتريدي أن (من) تبعيضية؛ لأن منهم من آمن. (٢)

●معنى (منفكين) :منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال :أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم لتقوم عليهم الحجة .الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله .الثالث :اختاره ابن عطية وهو :لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته، حتى يبعث الله إليهم رسولاً يقيم عليهم الحجة، الرابع :وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمداً ﷺ فقامت عليهم الحجة، لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه :﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ طه :١٣٤ فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة. (٣)

●قال القفال :الانفكاك هو انفراج الشيء عن الشيء وأصله من الفك وهو الفتح والزوال، ومنه فككت الكتاب إذا أزلت ختمه ففتحته، ومنه فكاك الرهن وهو زوال الانغلاق الذي كان عليه ألا ترى أن ضد قوله :انفك الرهن، ومنه فكاك الأسير وفكه، فثبت أن انفكاك الشيء عن الشيء هو أن يزيله بعد التحامه به، كالعظم إذا انفك من مفصله، والمعنى أنهم متشبثون بدينهم تشبثا قويا لا يزيلونه إلا عند مجيء البينة. (٤)

(١) تفسير ابن تيمية
(٢) فتح البيان للقنوجي
(٣) تفسير ابن جزي ٥٠١/٢
(٤) تفسير الرازي ٢٣٩/٢٣

●في (منفكين) وجه يرفع هذا الإشكال، وهو أن تكون منفكين بمعنى متروكين لا بمعنى تاركين، أي :لم يكونوا جميعا متروكين على ما هم عليه من الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة على معنى قوله تعالى :﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ القيامة :٣٦، وقوله :﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾العنكبوت :١ – ٢، أي :لن يتركوا وقريب منه قوله تعالى :﴿قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ هود :٥

وقد حكى أبو حيان قولا عن ابن عطية قوله :ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد :لم يكن هؤلاء القوم منفكين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم، حتى يبعث الله تعالى إليهم رسولا منذرا، تقوم عليهم به الحجة، ويتم على من آمن النعمة، فكأنه قال :ما كانوا ليتركوا سدى، ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى ا هـ.(١)

● هذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه، حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون :اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، ويقولون لأعدائهم من المشركين :قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم، كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله :ﷺ هل هو المذكور في كتابهم، وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام، وانفكاك الشيء عن الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله، وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم أي :لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور؛ بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه.(٢)

●أهل الكتاب هم اليهود والنصارى؛ سُمُّوا بذلك لأنَّ صُحُفهم بَقِيتْ إلى أن بُعِثَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع ما فيها من التبديل والتحريف والتغيير.(٣)

●البيّنة ما يَبِينُ به الحقُّ في كلِّ شيء، كلُّ شيءٍ يَبِين به الحقُّ فإنه يُسَمَّى بيّنة، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)، فكلُّ ما بان به الحقُّ فهو بيّنة، ويكون في كلِّ شيءٍ بحسبه.(٤)

● البينة هي نفس الرسول في شخصه، لما كانوا يعرفونه قبل مجيئه، كما في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾الصف: ٦ ، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾البقرة: ١٤٦، فكأن وجوده صلى الله عليه وسلم بذاته بينة لهم.(٥)

(١) أضواء البيان للشنقيطي٩/٤٢
(٢) تفسير أبي السعود ٩/١٨٤
(٣) تفسير ابن عثيمين
(٤) المرجع السابق
(٥) التحرير والتنوير ٣٠/٤٧٧

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾

- ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ لابد فيه من مضاف محذوف، والتقدير: وتلك البينة وحي ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾. (١)

- ﴿رَسُولٌ﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود في الكتابين. (٢)

- سمي القرآن صحفاً، من كثرة السور. (٣)

- صحفا: كتبا ، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب. (٤)

- الرسول عليه الصلاة والسلام وإن كان أمياً لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها. (٥)

- صحفاً: أي مصاحف مُطَهَّرَةً من الباطل وتصرف الشياطين او ممنوعة من مس المحدث والجنب والحائض قال الله تعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾فصلت: ٤٢ (٦)

- تسمية ما يتلوه الرسول صحفا مجاز بعلاقة الأيلولة لأنه مأمور بكتابته فهو عند تلاوته سيكون صحفا، فهذا المجاز كقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾يوسف: ٣٦ . وهذا إشارة إلى أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن في الصحف وما يشبه الصحف من أكتاف الشاء والخرق والحجارة، وأن الوحي المنزل على الرسول سمي كتابا في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾العنكبوت: ٥١ لأجل هذا المعنى. (٧)

- وصف الصحف ب مطهرة وهو وصف مشتق من الطهارة المجازية، أي كون معانيه لا لبس فيها ولا تشتمل على ما فيه تضليل، وهذا تعريض ببعض ما في أيدي أهل الكتاب من التحريف والأوهام. (٨)

---

(١) تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢
(٢) تفسير أبي السعود ٩ / ١٨٤
(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٦٠٣/٣
(٤) تفسير البغوي ٢٩٠/٥
(٥) تفسير البيضاوي ٣٢٨/٥
(٦) التفسير المظهري ٣١٧/١٠
(٧) التحرير والتنوير ٤٧٧/٣٠
(٨) التحرير والتنوير ٤٧٧/٣٠

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾

● هذه الآية تبطل قول القدرية الذين قالوا :إن الناس تفرقوا في الشقاوة والسعادة في أصلاب الآباء قبل أن تأتيهم البينة، والجواب :أن هذا ركيك لأن المراد منه أن علم الله بذلك وإرادته له حاصل في الأزل، أما ظهوره من المكلف فإنما وقع بعد الحالة المخصوصة. (١)

● المقصود من هذه الآية تسلية الرسول ﷺ أي :لا يغمنك تفرقهم فليس ذلك لقصور في الحجة بل لعنادهم، فسلفهم هكذا كانوا لم يتفرقوا في السبت وعبادة العجل :﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ فهي عادة قديمة لهم. (٢)

● قال القرطبي: قال العلماء: من أول السورة إلى قوله: ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين، وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾ إلخ فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج. (٣)

● هذا إبطال خاص بأهل الكتاب اليهود والنصارى، ولذلك أظهر فاعل تفرق ولم يقل: وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءتهم البينة، إذ لو أضمر لتوهمت إرادة المشركين من جملة معاد الضمير، بعد أن أبطل زعمهم بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ البينة: ٢ ارتقى إلى إبطال مزاعمهم إبطالا مشوبا بالتكذيب وبشهادة ما حصل في الأزمان الماضية، فيجوز أن تكون الواو للعطف عاطفة إبطالا على إبطال، ويجوز أن تكون واو الحال. (٤)

● قال في التسهيل: أي ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا من بعد ما علموا أنه حق، وإنما خصَّ أهل الكتاب هنا بالذكر، لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوته، بما يجدون في كتبهم من ذكره. (٥)

● إفراد أهل الكتاب بالذكر هنا بعد الجمع بينهم وبين المشركين أولًا؛ للدلالة على شناعة حالهم، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى، فخصوا بالذكر؛ لأن جحود العالم أقبح وأشنع من إنكار الجاهل. (٦)

---

(١) تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢

(٢) المرجع السابق

(٣) فتح القدير للشوكاني ٥٨٠/٥

(٤) التحرير والتنوير ٤٧٨/٣٠

(٥) صفوة التفاسير ٥٦٠/٥

(٦) حدائق الروح والريحان ٢١١/٣٢

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾

● هذا إبطال ثالث لتنصلهم من متابعة الإسلام بعلة أنهم لا يتركون ما هم عليه حتى تأتيهم البينة وزعمهم أن البينة لم تأتهم، وهو إبطال بطريق القول بالموجب في الجدل، أي إذا سلمنا أنكم موصون بالتمسك بما أنتم عليه لا تنفكون عنه حتى تأتيكم البينة، فليس في الإسلام ما ينافي ما جاء به كتابكم لأن كتابكم يأمر بما أمر به القرآن، وهو عبادة الله وحده دون إشراك، وذلك هو الحنيفية وهي دين إبراهيم الذي أخذ عليهم العهد به، فذلك دين الإسلام وذلك ما أمرتم به في دينكم. (١)

●اللام في قوله :﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ تدل على مذهب أهل السنة حيث قالوا :العبادة ما وجبت لكونها مفضية إلى ثواب الجنة، أو إلى البعد عن عقاب النار، بل لأجل أنك عبد وهو رب، فلو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب البتة، ثم أمرك بالعبادة . وجبت لمحض العبودية، وفيها أيضا إشارة إلى أنه من عبد الله للثواب والعقاب، فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب. (٢)

● قيل لعيسى عليه السلام: من المخلص لله؟ قال الذي يعمل العمل لله ولا يحب أن يحمده الناس عليه. (٣)

● المخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه، والواجب لوجوبه، فيأتي بالفعل لوجهه مخلصا لربه، لا يريد رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر، بل قالوا :لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة عن النار مطلوبا وإن كان لا بد من ذلك. (٤)

● اعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله، من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال. وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها، ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. (٥)

---

(١) تفسير ابن عاشور ٤٧٩/٣٠

(٢) تفسير الرازي ٢٤٠/٣٢

(٣) تفسير ابن عطية ٥٠٨/٥

(٤) تفسير الرازي ٢٤٠/٢٣

(٥) تفسير ابن جزي ٥٠٢/٢

● كون «الصلاة» مع «الزكاة» في هذه الآية مع ذكر بني إسرائيل فيها يقوي من قول السورة مدنية، لأن الزَّكاةَ فرضت بالمدينة، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما دفع لمناقضة أهل الكتاب بالمدينة. (١)

● خص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين. (٢)

● إن أريد بالصلاة والزكاة ما في شريعة أهل الكتاب من الصلاة والزكاة فالأمر ظاهر، وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا، وهما من جملة ما وقع الأمر به فيها. (٣)

● ختم الآية بقوله :﴿وذلك دين القيمة﴾ فحكم بكون ما هو متعلق هذه الآية دينا قيما فوجب أن يكون شرعا في حقنا سواء قلنا : بأنه شرع من قبلنا أو شرع جديد يكون هذا بيانا لشرع محمد عليه الصلاة والسلام وهذا قول مقاتل. (٤)

استدل كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾. (٥)

● إن في هذه الآية ردا صريحا على أولئك الذين ينادون بدون علم إلى دعوة لا تخلو من تشكيك، حيث لم تسلم من لبس، وهي دعوة وحدة الأديان، ومحل اللبس فيها أن هذا القول منه حق، ومنه باطل، أما الحق فهو وحدة الأصول، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وأما الباطل فهو الإبهام، بأن هذا ينجر على الفروع مع الجزم عند الجميع، بأن فروع كل دين قد لا تتفق كلها مع فروع الدين الآخر، فلم تتحد الصلاة في جميع الأديان ولا الصيام، ونحو ذلك.
وقد أجمع المسلمون على أن العبرة بما في القرآن من تفصيل للفروع، والسنة تكمل تفصيل ما أجمل. (٦)

---

(١) تفسير ابن عطية ٥/٥٠٨
(٢) تفسير السعدي ص٩٣١
(٣) تفسير الشوكاني ٥/٥٨١
(٤) تفسير الرازي٢٣/٢٤٠
(٥) تفسير ابن كثير ٨/٤٥٧
(٦) أضواء البيان ٩/٤٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

● تأكيد الخبر ب ﴿ إِنَّ ﴾ للرد على أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم لا تمسهم النار إلا أياما معدودة، فإن الظرفية التي اقتضتها في تفيد أنهم غير خارجين منها، وتأكد ذلك بقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾، وأما المشركون فقد أنكروا الجزاء رأسا. (١)

● قدم في الوعيد أهل الكتاب على المشركين، والسر فيه بعد ما مر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه ولهذا حين كسروا رباعيته قال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)، وحيث فاتته صلاة العصر يوم الخندق قال:(ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا) فقال الله تعالى: كما قدمت حقي على حقك فأنا أيضا أقدم حقك على حقي، فمن ترك الصلاة طول عمره لم يكفر، ومن طعن فيك بوجه يكفر. ثم إن أهل الكتاب طعنوا فيك فقدمتهم في الوعيد على المشركين الذين طعنوا فيّ، وأيضا المشركون رأوه صغيرا يتيما فيما بينهم. ثم إنه بعد النبوة سفه أحلامهم وكسر أوثانهم وهذا أمر شاق يوجب العداوة الشديدة عند أهل الظاهر. وأما أهل الكتاب فقد كانوا مقرين بنبي آخر الزمان وكان النبي صلى الله عليه وسلم مثبتا لنبيهم وكتابهم فلم يوجب لهم ذلك عداوة شديدة، فطعنهم في محمد صلى الله عليه وسلم طعن في غير موقعه فاستحقوا التقديم في الوعيد لذلك وكانوا شر البرية. (٢)

● قدم أهل الكتاب على المشركين في الوعيد استتباعا لتقديمهم عليهم في سببه كما تقدم في أول السورة، ولأن معظم الرد كان موجها إلى أحوالهم من قوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ... وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٤، ٥] ، ولأنه لو آمن أهل الكتاب لقامت الحجة على أهل الشرك. (٣)

● اعلم أن شر البرية جملة يطول تفصيلها، شر من السراق، لأنهم سرقوا من كتاب الله، صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وشر من قطاع الطريق، لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق، وشر من الجهال الأجلاف، لأن الكبر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح، واعلم أن هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد. (٤)

---

(١) تفسير ابن عاشور ٣٠/٤٨٣

(٢) تفسير النيسابوري ٦/٥٤٤

(٣) تفسير ابن عاشور ٣٠/٤٨٣

(٤) تفسير الرازي ٣٢/٢٤٧

● قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولم يقل: إن المؤمنين إشارة إلى أنهم أقاموا سوق الإسلام حال كساده، وبذلوا الأموال والمهج لأجله، ولهذا السبب استحقوا الفضيلة العظمى كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾[1]

● استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[2]

● جعل جزاء الجماعة جمع الجنات فيجوز أن يكون على وجه التوزيع، أي لكل واحد جنة كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] وقولك: ركب القوم دوابهم، ويجوز أن يكون لكل أحد جنات متعددة والفضل لا ينحصر قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] .

● قوله: ﴿عَدْنٍ﴾ يفيد الإقامة﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٤٥] ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] يقال: عدن بالمكان أقام، وروي أن جنات عدن وسط الجنة، وقيل: عدن من المعدن أي هي معدن النعيم والأمن والسلامة.[3]

● إضافة: جنات إلى عدن؛ لإفادة أنها مسكنهم لأن العدن الإقامة، أي ليس جزاؤهم تنزها في الجنات بل أقوى من ذلك بالإقامة فيها.[4]

● قال بعضهم: إنها سميت جنة إما من الجن أو الجنون أو الجنة أو الجنين، فإن كانت من الجن فهم المخصوصون بسرعة الحركة يطوفون العالم في ساعة واحدة فكأنه تعالى قال: إنها في إيصال المكلف إلى مشتهياته في غاية الإسراع مثل حركة الجن، مع أنها دار إقامة وعدن، وإما من الجنون فهو أن الجنة، بحيث لو رآها العاقل يصير كالمجنون، لولا أن الله بفضله يثبته، وإما من الجنة فلأنها جنة واقية تقيك من النار، أو من الجنين، فلأن المكلف يكون في الجنة في غاية التنعم، ويكون كالجنين لا يمسه برد ولا حر ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.[5]

● قوله: (تجري) إشارة إلى أن الماء الجاري ألطف من الراكد، ومن ذلك النظر إلى الماء الجاري، يزيد نورا في البصر.[6]

---

(١) تفسير الرازي ٢٤٨/٣٢

(٢) تفسير ابن كثير ٤٥٨/٨، روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من ذلك وقرأ هذه الآية»

(٣) تفسير الرازي ٢٥١/٣٢

(٤) تفسير ابن عاشور ٤٨٥/٣٠

(٥) تفسير الرازي ٢٥١/٣٢

(٦) تفسير الرازي ٢٥١/٣٢

● قال: من تحتها إشارة إلى عدم التنغيص، وذلك لأن التنغيص في البستان، إما بسبب عدم الماء الجاري فذكر الجري الدائم، وإما بسبب الغرق والكثرة، فذكر من تحتها، ثم الألف واللام في الأنهار للتعريف فتكون منصرفة إلى الأنهار المذكورة في القرآن، وهي نهر الماء واللبن والعسل والخمر، واعلم أن النهار والأنهار من السعة والضياء، فلا تسمى الساقية نهرا، بل العظيم هو الذي يسمى نهرا بدليل قوله: وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار. (١)

● في آية الوعد ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ إشارة إلى كمال كرمه وسعة رحمته كما قال «سبقت رحمتي غضبي». (٢) (٣)

● اعلم أنه تعالى لما وصف الجنة أتبعه بما هو أفضل من الجنة وهو الخلود أولا والرضا ثانيا، وروي أنه عليه السلام قال: «إن الخلود في الجنة خير من الجنة ورضا الله خير من الجنة» . (٤)

● قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ولم يقل رضي الرب عنهم ولا سائر الأسماء لأن أشد الأسماء هيبة وجلالة لفظ الله، لأنه هو الاسم الدال على الذات والصفات بأسرها أعني صفات الجلال وصفات الإكرام، فلو قال: رضي الرب عنهم لم يشعر ذلك بكمال طاعة العبد لأن المربي قد يكتفي بالقليل، أما لفظ الله فيفيد غاية الجلالة والهيبة، وفي مثل هذه الحضرة لا يحصل الرضا إلا بالفعل الكامل والخدمة التامة. (٥)

● الرضى في قوله: ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾هو كناية عن كونهم نالهم من إحسان الله ما لا مطلب لهم فوقه كقول أبي بكر في حديث الغار: «فشرب حتى رضيت» ، وقول مخرمة حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء: «رضي مخرمة» . (٦)

● هذه الآية إذا ضم إليها آية أخرى صار المجموع دليلا على فضل العلم والعلماء، وذلك لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨] فدلت هذه الآية على أن العالم يكون صاحب الخشية، وهذه الآية وهي قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ تدل على أن صاحب الخشية تكون له الجنة فيتولد من مجموع الآيتين أن الجنة حق العلماء. (٧)

● خص أهل الخشية بالذكر؛ لأنها رأس كل بركة، تنهى عن المعاصي، وتأمر بالمعروف. (٨)

---

(١) تفسير الرازي ٢٥١/٣٢

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥، ٢٢. مسلم في كتاب التوبة حديث ١٤- ١٦. الترمذي في كتاب الدعوات باب ٩٩. ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٣. أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٢، ٢٥٨) .

(٣) تفسير النيسابوري ٥٤٤/٦

(٤) تفسير الرازي ٢٥٢/٣٢

(٥) تفسير الرازي ٢٥٢/٣٢

(٦) تفسير ابن عاشور ٤٨٦/٣٠ (بتصرف يسير)

(٧) تفسير الرازي ٢٥٢/٣٢

(٨) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٤١٤/٧

● قال الملوي ما معناه: إن الإنسان إذا استشعر عقاباً يأتيه أو خسراً، لحقته حالة يقال لها الخوف وهي انخلاع القلب عن طمأنينة الأمن وقلقه واضطرابه لتوقع مكروه، فإن اشتد سمي وجلاً لجولانه في نفسه، فإذا اشتد سمي رهباً لأدائه إلى الهرب، وهي حالة المؤمنين الفارين إلى الله ومن غلب عليه الحب لاستغراق في شهود الجماليات لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد لغفلة أو ذلة، ومن غلب عليه التعظيم لاستغراق في شهود الجلاليات صار في الإجلال، ووراء هذا الخشية. (١)

● في ذكر الرب هنا دون أن يقال: ذلك لمن خشي الله، تعريض بأن الكفار لم يرعوا حق الربوبية إذ لم يخشوا ربهم فهم عبيد سوء. (٢)

● ختم السورة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ وفيه إشارة إلى أنه لا بد من دوام الخوف، أما قبل العمل فالحاصل خوف الاختلال، وأما بعد العمل فالحاصل خوف الخلاف، إذ هذه العبادة لا تليق بتلك الحضرة. (٣)

*****

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩٩/٢٢
(٢) تفسير ابن عاشور ٤٨٧/٣٠
(٣) تفسير الرازي ٢٥١/٣٢

الوحدة الموضوعية للسورة

سورة «القدر» التي سبقت هذه السورة تنويها بالليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم، فنالت بشرف نزوله فيها هذا القدر العظيم الذي ارتفعت به على الليالى جميعا.. فالتنويه بليلة القدر هو- فى الواقع- تنويه بالقرآن الكريم، وأن الاتصال به يكسب الشرف ويعلى القدر للأزمان والأمكنة والأشخاص.

سورة البينة فيها القرار الحاسم والقول الفصل في أمور أربعة: وهي علة إنزال القرآن وهو التكليف، وبيان أن ما جاء به النبي هو الحق الثابت، والفصل في شأن الكفار، من المشركين وأهل الكتاب، وجزاء أهل الإيمان بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، وجزاء الباقين على الكفر وماتوا على ذلك. وليس هناك عذر لمن كفر بعد بيان القرآن وإقامة الحجة القاطعة فيه بالأدلة الكونية والتنزيلية، وهذا ما تضمنته هذه السورة المكية في قول جمهور المفسرين[1].

وسورة البيّنة تحدّثت عن هذا القرآن، وعن رسول الله الحامل لهذا القرآن، وموقف الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، من القرآن، والرسول الداعي إلى الله بالقرآن.. ومن هنا كان الجمع بين السورتين قائما على هذا الترابط القوىّ، الذي يجعل منهما وحدة واحدة[2]،

وهي: شرف القرآن والمتصل به.

---

(1) الوسيط للزحلي ٣/ ٢٩٠٩

(2) التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٦٣٨

فوائد الآيات

١- بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرته كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل ولم تصبح صالحة للإسلام والهداية البشرية ولا فرق بين اليهودية والنصرانية والمجوسية.

٢- إن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية بفارغ الصبر لعلمهم بما أصاب دينهم من فساد، ولما بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءتهم البينة على صدقة وصحة ما جاء به تفرقوا فآمن البعض١ وكفر البعض.

٣- مما يؤخذ على اليهود والنصارى أنهم في كتبهم مأمورون بعبادة الله تعالى وحده والكفر بالشرك مائلين عن كل دين إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فما بالهم لما جاءهم الإسلام بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه. والجواب أنهم لما انحرفوا عز عليهم أن يستقيموا لما ألفوا من الشرك والضلالة والباطل.

٤- بيان أن الملة القيمة والدين المنجي من العذاب المحقق للإسعاد والكمال ما قام على أساس عبادة الله وحده وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والميل عن كل دين إلى هذا الدين الإسلامي.

٥- بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء.

٦- بيان جزاء من آمن بالإسلام ودخل فيه وطبق قواعده واستقام على الأمر والنهي فيه وهو نعم الجزاء رضى الله والخلود في دار السلام.

٧ - فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل.[١]

*****

[١] أيسر التفاسير للجزائري ٥/٦٠٠

المسائل

السؤال الأول :تقدير الآية :لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين فهذا يقتضي أن أهل الكتاب منهم كافر ومنهم ليس بكافر، وهذا حق، وأن المشركين منهم كافر ومنهم ليس بكافر، ومعلوم أن هذا ليس بحق؟

الجواب من وجوه:

أحدها :كلمة" من "ههنا ليست للتبعيض بل للتبيين كقوله :﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الحج :٣٠.

وثانيها :أن الذين كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام، بعضهم من أهل الكتاب وبعضهم من المشركين، فإدخال كلمة من لهذا السبب .

وثالثها :أن يكون قوله :﴿والمشركين﴾ أيضا وصفا لأهل الكتاب، وذلك لأن النصارى مثلثة واليهود عامتهم مشبهة، وهذا كله شرك، وقد يقول القائل :جاءني العقلاء والظرفاء يريد بذلك قوما بأعيانهم يصفهم بالأمرين.

وقال تعالى :﴿الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾ التوبة :١١٢ وهذا وصف لطائفة واحدة، وفي القرآن من هذا الباب كثير، وهو أن ينعت قوم بنعوت شتى، يعطف بعضها على بعض بواو العطف ويكون الكل وصفا لموصوف واحد. [١]

السؤال الثاني :ما الفائدة في تقديم أهل الكتاب في الكفر على المشركين ؟ حيث قال :﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ ؟

الجواب :أن الواو لا تفيد الترتيب، ومع هذا ففيه فوائد:

أحدها :أن السورة مدنية فكأن أهل الكتاب هم المقصودون بالذكر.

وثانيها :أنهم كانوا علماء بالكتب فكانت قدرتهم على معرفة صدق محمد أتم، فكان إصرارهم على الكفر أقبح .

وثالثها :أنهم لكونهم علماء يقتدي غيرهم بهم فكان كفرهم أصلا لكفر غيرهم، فلهذا قدموا في الذكر.

ورابعها :أنهم لكونهم علماء أشرف من غيرهم فقدموا في الذكر. [٢]

السؤال الثالث :لم قال من أهل الكتاب، ولم يقل من اليهود والنصارى ؟

الجواب :لأن قوله :﴿من أهل الكتاب﴾ يدل على كونهم علماء، وذلك يقتضي إما مزيد تعظيم، فلا جرم ذكروا بهذا اللقب دون اليهود والنصارى، أو لأن كونه عالما يقتضي مزيد قبح في كفره، فذكروا بهذا الوصف تنبيها على تلك الزيادة من العقاب. [٣]

---

[١] تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢

[٢] المرجع السابق

[٣] المرجع السابق

السؤال الرابع :أهل الكتاب مختص باليهود والنصارى، ولكن الخلاف هل الشرك يجمعهما أيضا أم لا ؟

فبين الفريقين عموم وخصوص، عموم في الكفر وخصوص في أهل الكتاب لليهود والنصارى، وخصوص في المشركين لعبدة الأوثان.

ولكن جاءت آيات تدل على أن مسمى الشرك يشمل أهل الكتاب أيضا، كما في قوله تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة : ٣٠ – ٣١.

فجعل مقالة كل من اليهود والنصارى إشراكا.

وجاء عن عبد الله بن عمر منع نكاح الكتابية وقال " :وهل أكبر إشراكا من قولها :﴿اتخذ الله ولدا﴾ البقرة :١١٦ فهو وإن كان مخالفا للجمهور في منع الزواج من الكتابيات، إلا أنه اعتبرهن مشركات. (١)

السؤال الخامس :كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة إلى الرسول مع أنه كان أميا ؟

الجواب :إذا تلا مثلا المسطور في تلك الصحف كان تاليا ما فيها وقد جاء في كتاب منسوب إلى جعفر الصادق أنه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب، وإن كان لا يكتب، ولعل هذا كان من معجزاته ﷺ. (٢)

والحمدلله رب العالمين

(١) أضواء البيان ٣٩/٩

(٢) تفسير الرازي ٢٤١/٣٢

كتب منشورة

- الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم _ دراسة تحليلية في قصار المفصل .
- التوجيه الميسر للقراءات العشر _ الأصول وفرش البقرة.
- خطط متابعة لحفظ وضبط القرآن _ من نصف وجه إلى خمسة أوجه، وخطة للتلقين، ولمراجعة القرآن، وإتقان القرآن.
- سلسلة تدبر القرآن الكريم _الفاتحة ومن الزلزلة – الناس.
- مختصر تفسير جزء عم من تفسير البغوي.
- من أنواع التصنيف المتعلقة بالتفسير.
- قصار الاحاديث من المتفق عليه.
- الأحاديث المتعلقة بسور القرآن الكريم.
- الطريق إلى محبة الله تعالى.
- مجمل التوحيد.
- خمسون ذكرا من أذكار العبد الصالح
- أذكاري | نسخة تعليمية مصورة، ونسخة عادية.
- خطة بحث _روايات القرون المفضلة في تفسير القرآن بالقرآن.
- خطة بحث _المغفرة في ضوء القرآن الكريم.
- مقال _ حافظ القرآن بين الغالي والجافي فيه.